

كاليفورنيا: الجميلة والملعونة

من كتاب كذبة الأرض: العمال المهاجرون ومظاهر كاليفورنيا الطبيعية (1996)
دون ميتشل

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

مقدمة

إن المظاهر الطبيعية عمل شاق ، فما يظهر للعين ، وخاصة تلك المظاهر الطبيعية المعروفة بصفاتها المهيبة ، غالبًا ما تخفي قدرًا كبيرًا من العمل الشاق والاستغلال وراء الكواليس . في كتاب "كاليفورنيا : الجميلة والملعونة" ، يستكشف دون ميتشل الجانب المظلم من المظاهر الطبيعية الخلابة في كاليفورنيا ، والتي تتجذر في علاقات العمل الاستغلالية لصناعة الزراعة في كاليفورنيا . يستخدم ميتشل قصة عائلة جواد من الحكاية الكلاسيكية لجون شتاينبك "عناقيد الغضب" لتقديم كيف تعمل المظاهر الطبيعية في آن واحد على تسهيل علاقات الإنتاج الاستغلالية التي تشكلها وإخفائها . ميز ميتشل بين ما يسميه جغرافي الثقافة "القدامي" و"الجدد" . من ناحية أخرى ، عد جغرافيو الثقافة "القدامي" ، الذين جسدهم كارل ساور وآخرون ممن اتبعوا نهجًا وصفيًا شبه علمي لتحليل المظاهر الطبيعية ، أن المظاهر الطبيعية الثقافية هي في المقام الأول مجموعة من عناصرها المادية التي أظهرت معًا كيف نقشت الثقافات البشرية العالم المادي . ومن ناحية أخرى ، أكد جغرافيو الثقافة "الجدد" على الجوانب التمثيلية والرمزية للمظاهر الطبيعية .

إن المجموعة المحررة التي كتبها دينيس كوسجروف وستيفن دانييلز بعنوان "أيقونية المظاهر الطبيعية : مقالات عن التمثيل الرمزي وتصميم واستخدام البيئات الماضية" (1988) هي نموذجية هنا ، كما هو الحال مع مقال جيمس دنكان في هذا الجزء ، "من الخطاب إلى المظاهر الطبيعية : قراءة ملكية" . في حين أن التمييز بين القديم والجديد مبسط إلى حد ما في هذا الاختيار ، فإن اهتمام ميتشل هو ألا يحجب اهتمام جغرافي الثقافة النقيدين بعلاقات القوة والطعن فيها المناهج التمثيلية التي ، إذا ما تم أخذها إلى أقصى حد ، تجعل كل أشكال عدم المساواة "مبنية اجتماعيًا" : "إن التخلي عن العالم المادي كموضوع للدراسة من أجل التركيز حصريًا على سياسات القراءة واللغة والأيقونات يمثل سياسة خطيرة" .

يُظهر ميتشل أنه على الرغم من أن العامل هو الذي يقوم بتشكيل المظاهر الطبيعية ماديًا ، ففي ظل النظام الرأسمالي لا يمتلك العامل الأرض ولا يستفيد بشكل كامل من منتجاتها . والواقع أن جزءًا من "العمل" الذي تقوم به المظاهر الطبيعية هو إخفاء هذا التفاوت الأساسي عن العامل والمجتمع الأوسع الذي يشكل جزءًا منه . وبالتالي فإن الاهتمام بديناميكيات القوة المادية للمجتمع الرأسمالي يجب أن يكون في طليعة تحليل المظاهر الطبيعية .

قدم لنا ميتشل فهمًا متأثرًا بالماركسية للمظاهر الطبيعية . وليس من المستغرب أن يتولى ميتشل إدارة "مشروع الجغرافيا الشعبية" في جامعة سيراكيوز في نيويورك ، حيث يعمل أستاذًا للجغرافيا في مدرسة ماكسويل . ويهدف "مشروع الجغرافيا الشعبية" إلى جعل التحليل الجغرافي النقدي للحياة اليومية في المجتمع الأميركي في متناول الناس العاديين ، من خلال العمل بشكل مباشر مع الشباب في سن المدرسة وأعضاء المجتمع . والواقع أن عددًا من جغرافيو الثقافة النقيدين يسعون جاهدين لجعل دراساتهم العلمية أكثر شمولاً . إن هذه الحجج ليست ذات صلة بالمجتمعات – على مستويات متنوعة – التي تشكل جزءًا منها . إن البحث العملي التشاركي القائم على المجتمع الذي أجراه ميتشل بشكل مثلاً ممتازاً على هذا الالتزام بالتغيير الاجتماعي

ورغم أن ميتشل جغرافي ثقافي ، فقد أعرب عن تشكك صحي بشأن استخدام مصطلح "الثقافة" لإحباط التحليل النقدي . وقد نشر هذه الحجة في مقال موجز بعنوان "لا يوجد شيء مثل الثقافة : نحو إعادة تصور فكرة الثقافة في الجغرافيا" ، في مجلة 1: 102-116 (1995) Transactions of the Institute of British Geographers ، كما يُعرف ميتشل بعمله في قضايا الوصول إلى المساحات الحضرية ، مع التركيز على التشرذم والاحتجاجات والحدائق العامة . ويمكن العثور على هذا العمل ، من بين أماكن أخرى ، في كتابه "الحق في المدينة : العدالة الاجتماعية والنضال من أجل المساحات العامة" (2003).

إن عمل دون ميتشل مستوحى من أعمال علماء ماركسيين آخرين قاموا بفحص البناء الاجتماعي للمساحة الحضرية . وعلى وجه الخصوص ، استشهد ميتشل وغيره من الجغرافيين النقديين بعمل الجغرافي ديفيد هارفي ؛ ينظر على سبيل المثال التجربة الحضرية (1989) . إن عنوان كتاب ميتشل "الحق في المدينة" يستحضر مصطلحًا - الحق في المدينة - استخدمه في الأصل الفيلسوف الماركسي الفرنسي وعالم الاجتماع الحضري هنري ليفبفر في عمله التأسيسي حول المدن ؛ ينظر كتاب ليفبفر "كتابات عن المدن" (1995). وأخيرًا ، كتب الناقد الأدبي الماركسي ريموند ويليامز بشكل نقدي وبصيرة حول الصور المتغيرة المرتبطة بالمظاهر الطبيعية الريفية والحضرية البريطانية في كتاب "الريف والمدينة" (1975).

بعد أن تخلوا عن مزرعتهم في أوكلاهوما وانضموا إلى الهجرة عبر الصحراء إلى كاليفورنيا ، وبعد أن رأوا أسرته تتمزق بسبب التنقل القسري للحدائق ، وصل آل جواد إلى قمة ممر تيهاتشابي ونظروا إلى وادي سان جواكين في كاليفورنيا . وفجأة ، تكشف قوة و وعد المظاهر الطبيعية في كاليفورنيا عن نفسها في مشهد مذهل من الألوان والأنماط ، مما يحو على الفور خيبة الأمل التي رافقت الأسرة طوال رحلتها . في رواية عناقيد الغضب ، يختصر جون شتاينبك هذا المنظر إلى قائمة من الخصائص ، وكأنه يصف لوحة : "الكروم ، والبساتين ، والوادي المسطح الكبير الأخضر والجميل ، والأشجار المصفوفة في صفوف ، ومنازل المزرعة" .

لقد وصل آل جواد أخيرًا إلى ذروة أمريكا . تنهد الأب ، "لم أكن أعرف أنهم يشبهونها في أي شيء" . أشجار الخوخ وبساتين الجوز ، والبقع الخضراء الداكنة من البرتقال . والأسقف الحمراء بين الأشجار ، والحظائر - الحظائر الغنية ... "جمال وعجائب المشهد أمامهم يطغى على عائلة جواد : "و " ثم وقفا صامتين مذهولين ، محرجين أمام الوادي العظيم . كانت المسافة قد تقلصت بفعل الضباب ، وأصبحت الأرض أكثر ليونة في المسافة . تومض طاحونة هوائية في الشمس ، وكانت شفراتها الدوارة تشبه الهليو غراف ، بعيدًا .

نظر روثي ووينفيلد إليها ، وهمست روثي ، "إنها كاليفورنيا ."" هذا مشهد معقد حيث تتواجد جميع الخصائص القياسية لرسم المظاهر الطبيعية - جمال مصطنع ، شكلي ، منظور يمثله الضباب الخفيف ، شعور بالملكية في النظرة المحرجة ، غياب شبه كامل للعمل المرئي . إنه يخدم لتمثيل كاليفورنيا كحلم ، كمشهد ، كمنظر يمكن مشاهدته وربما امتلاكه . إنها تظهر كاليفورنيا كونها تنويجًا للحلم الأمريكي - ربما ليست مدينة لامعة على تلة ، بل مثال ريفي مزدهر ، جيفرسوني ، ريفي . لكن شتاينبك كاتب حكيم ، وهو يعلم أنه لإظهار هذه المظاهر الطبيعية على أنها أمريكا ، يجب على المرء أن يظهرها حقًا كصورة ، كحلم . كل هذا أدى إلى إن صعود عائلة جواد إلى قمة هذا التل يخبرنا أن المنظور من هناك يخفي شيئًا ، وأن جمال المكان لا يمكن أن يكون إلا صورة مبنية من خلال إخفاء ما يجعله كذلك . إن حلم كاليفورنيا ، التأليه الأمريكي الذي تمثله كاليفورنيا ، لا يمكن رؤيته إلا من بعيد . إن الحلم نفسه مستحيل بدون ضباب معين يغلق المنظور ، ويخفي الصراع الذي يدخل في صنع المظاهر الطبيعية . وهكذا ينزل شتاينبك عائلة جواد من الجبل ، وبالتالي يفتح المنظر ليظهر كيف تم بناؤه .

إن الجانب الآخر من حلم كاليفورنيا مختبئ في الشجيرات على طول الجداول وخنادق الري ، وهو الجانب الذي كان موجودًا طوال الوقت ، ولكن من السهل إغفاله من أعلى التل : الجيش غير المرئي من العمال المهاجرين الذين يصنعون منظرًا طبيعيًا من الجمال والوفرة الذي أذهل عائلة جواد . إن العمال الزراعيين ، الذين يفترض أنهم هادئون ، ومرنون ، وغير منظمين ، يعيشون ويتكاثرون في مناظر طبيعية من الحرمان الأكثر فظاعة... ولأنهم لا غنى عنهم كطبقة ، ويمكن الاستغناء عنهم تمامًا كأفراد ، فمن الواضح تمامًا أن **عمال المزارع هم الذين يصنعون بنشاط ما هو مرئي كمنظر طبيعي** . إن المظاهر الطبيعية - المنظر الواسع ، والمنظوري ، والجمالي من أعلى التل ، والمنظر الطبيعي القبيح ، والعنيف ، والقذر للحياة اليومية للعمال - مترابطان بشكل وثيق .

لقد كان هذا العنف ضروريًا في الواقع ، ليس فقط لبناء الحلم الأمريكي ، بل وأيضًا لعمل النظام الاقتصادي نفسه . وعلاوة على ذلك ، فإن مثل هذا العنف كان يتم من خلال المشهد الطبيعي نفسه : فبكل تعقيداته ، فإن المشهد الطبيعي ، كونه منظرًا أكثر عمومية وبيئة محلية مبنية ، يشكل لاعبًا مهمًا في دراما التنمية الرأسمالية في كاليفورنيا . وكان شتاينبك محقًا في جانبين أساسيين . أولاً ، يجب فهم المشهد الطبيعي كونه علاقة مترابطة بين المشهد الطبيعي والإنتاج ، بين المتعة الجمالية التي يجدها آل جواد في ممر تيهاتشابي و واقع غابات المشردين ، وبلدات هوفر فيل ، ومعسكرات العمل ، وصفوف المتزلجين التي يجدونها في الأسفل .

ثانيًا ، من بعض المعاني الأساسية للغاية ، فإن العمال أنفسهم هم الذين يصنعون المشهد الطبيعي في نضالهم من أجل كسب عيشهم داخل اقتصاد سياسي لا يرحم وخارجه - وهم الذين يشكلون الغراء الذي يربط بين جانبي المشهد الطبيعي . ولإثبات هذه الارتباطات ، وكشف الجانب المظلم من حلم كاليفورنيا ، رأى شتاينبك كتابه محظورًا ومُحرَقًا في بيكرسفيلد (حيث كان يعيش) . لقد دفن آل جواد جرانما بعد أن نزلوا من التل ، وقد ندد به أصحاب الأعمال الزراعية والصناعية في مختلف أنحاء الولاية كونه غير أمريكي . ولكن هذه هي على وجه التحديد الروابط التي نحتاج إلى استكشافها إذا كنا راغبين في فهم كيفية إعادة إنتاج الاقتصاد الزراعي باستمرار على الرغم من الظلم الواضح الذي يكتفبه ولماذا تبدو المظاهر الطبيعية على هذا النحو .

تخيل التآليه الأمريكي

كان أعضاء منظمة العمال الصناعيين الراديكاليين في العالم IWW أو Wobblies في العقود الأولى من القرن العشرين يحيون الحديث عن "كاليفورنيا ، الجميلة - والملعونة" على وجه التحديد لأنهم كانوا مجبرين باستمرار على إقامة أنواع من الروابط بين صور المظاهر الطبيعية و واقع المظاهر الطبيعية التي يجعل شتاينبك آل جواد يقيمونها . تعبر عبارتهم على وجه التحديد عن المفارقة الدموية في المظاهر الطبيعية في كاليفورنيا . **إنها جميلة لأنها ملعونة** ... ومع ذلك ، لم يكن معظم المعلقين على المظاهر الطبيعية في كاليفورنيا مهتمين كثيرًا بإظهار الصلة بين جانبي المظاهر الطبيعية ، وكيف يعتمد هذان الجانبان على بعضهما البعض... وحتى وقت قريب ، كان تجاهل الدماء والاضطرابات ، والرؤوس المنقسمة والحياة المدمرة ، التي تسمح للمظاهر الطبيعية بأن تبدو كما هي ، تقليدًا محترمًا في الخطاب الاجتماعي والعلمي والتاريخي والأدبي حول المظاهر الطبيعية في كاليفورنيا .

ويبدو أن هذا الخطاب يوحى ، على حد تعبير الجغرافي جيمس بارسونز ، بأن المظاهر الطبيعية "محايدة أخلاقيًا" . وكونها محايدة ، قد يتحول كل من الناس والمظاهر الطبيعية في لقاءاتهم المتبادلة ، لكن المحتوى الأخلاقي للمظاهر الطبيعية يظل ثابتًا وغير قابل للاضطراب . إنه كذلك فقط . وبالتالي غالبًا ما

يُفهم المشهد الطبيعي بطريقتين مترابطتين ؛ فهو بقايا وليس بناء مستمرًا ؛ إن الطبيعة هي في الواقع جزء من الطبيعة ، وهي عضوية وطبيعية وجمالية . في الحالة الأولى، **يُفهم المشهد الطبيعي على أنه ثابت على الأقل من حيث عمر الإنسان الطبيعي . فبدلاً من أن يتشكل المشهد الطبيعي بشكل مباشر من قِبَل الناس ، فإن ثبات المشهد الطبيعي يسمح له بتشكيل البشر.** في الحالة الثانية ، يكون المشهد الطبيعي شيئاً يمكن المرور به والإعجاب به على طول الطريق .

فقط من خلال محو - أو إضفاء طابع جمالي كامل - على العمال الذين صنعوا أسلوب الحياة هذا ، يصبح المشهد الطبيعي أكثر جمالاً . إن الاحتفال ممكن ، فقط من خلال رؤية كاليفورنيا كمنظر طبيعي بحت يمكننا أن نرى الجمال دون فهم حياة الملعونين الذين يشكلون جزءاً لا يتجزأ من هذا الجمال . وهذه الخطوة ، التي تمحو آثار العمل والنضال ، هي على وجه التحديد ما تدور حوله صور المظاهر الطبيعية . لقد تطور الكثير من العمل في الجغرافيا حول المظاهر الطبيعية كأيدولوجية وتمثيل كرد فعل ، وبالتالي في معارضة جزئية ، لمدرسة المظاهر الطبيعية كشكل مورفولوجي القديمة . إذا كان الخطأ الواضح في مدرسة المظاهر الطبيعية الأقدم في الجغرافيا هو عزلها وعدم رغبتها في وضع نظريات كافية لموضوعات دراستها ، وعدها أمراً مفروغاً منه ، فإن الخطأ الأساسي لمدرسة المظاهر الطبيعية كشكل مورفولوجي الأحدث هو التحرك بعيداً جداً عن دراسة الإنتاج المورفولوجي. . . .

لقد تحول الكثير مما يطلق عليه "جغرافية الثقافة الجديدة" إلى دراسة شبه حصرية للصور (التي تبدو) غير مترابطة . ولقد تخلت الأشكال الأكثر تطرفاً من "جغرافية الثقافة الجديدة" عن كل الاهتمام بالعالم خارج اللغة والبنية الرمزية ، وخارج التمثيل . وقد أدى هذا إلى بعض المواقف النظرية التي يصعب دعمها... **إن رؤية وفهم مكان ما كونه منظرًا طبيعيًا يتطلبان الابتعاد عن المكان وعن العمل الذي يصنعه . وبالتالي فإن المنظر الطبيعي ليس مجرد أيدولوجية ، بل إنه أيدولوجية بصرية . إن "المنظر الطبيعي" لا يتم تجربته بقدر ما يتم رؤيته... وهذا يتجاهل حقيقة مفادها أن "المنظر الطبيعي" هو علاقة قوة، وترجمة أيدولوجية للعلاقات المكانية.** إن المظاهر الطبيعية تحول حقائق المكان إلى تمثيل متحكم فيه ، وفرض نظام حيث يتم استبدال طريقة واحدة (أو ربما عدد قليل) من طرق الرؤية السائدة بجميع طرق الرؤية والتجربة... إن التخلي عن العالم المادي كموضوع للدراسة من أجل التركيز حصرياً على سياسات القراءة واللغة والأيقونات يمثل سياسة خطيرة .

وعلى الرغم من أوجه القصور في الجغرافيات الثقافية "الجديدة" و"القديمة" على حد سواء ، يجب أن يكون الجغرافيون قادرون على البناء على أدوات كلا التقليدين للبدء في شرح طبيعة الروابط بين التمثيلات والمادية . يتم إنتاج "المظاهر الطبيعية" بطريقتين . من ناحية ، هناك العمل - عمل تشكيل الأرض . هذا العمل ، بطبيعة الحال ، لا يتم تنظيمه محلياً فحسب ، بل داخل تقسيم مكاني يقطع عبر مقاييس لا حصر لها . من ناحية أخرى ، هناك عمل فني - عمل تشكيل الأرض ... من ناحية أخرى ، فإن إعادة تمثيل منتجات العمل كمنظر طبيعي يمثل محاولة لتطبيع وتنسيق الاستيلاء على ذلك العمل وفرض نظام من الهيمنة والموافقة والسيطرة والنظام داخل المنظر... وبالتالي فإن **المشهد الطبيعي** هو وحدة من المادية والتمثيل ، التي تم بناؤها من خلال التنافس بين مختلف المجموعات الاجتماعية التي تمتلك كميات متفاوتة من القوة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية... هناك ، كما يصر "جغرافيو الثقافة الجديدة" ، أيقونية للمظاهر الطبيعية ، ولكن يجب بناء هذه الأيقونة في سياق الشكل الذي يتخذه المشهد الطبيعي . وعلاوة على ذلك ، فإن المشهد الطبيعي المورفولوجي لا يتم إنتاجه عادةً من أجل قراءته ؛ بل إنه يتطور كمنتج و وسيلة لتوجيه الممارسات الاجتماعية والمكانية للإنتاج والتكاثر في منطقة ما... **إن المظاهر الطبيعية ، وتمثيلات المظاهر الطبيعية ، هي في الواقع نتاج للصراع الاجتماعي ، سواء كان الصراع حول الشكل أو حول كيفية فهم وقراءة هذا الشكل.**

إنتاج المظاهر الطبيعية

بالنسبة لشتاينيك ، تبدأ الإجابات ... بعمل الناس العاديين ، وتستمر بتقييم كيفية تنظيم هذا العمل . . . إن الصلة بين الأشكال المحلية والتمثيلات التي يتم من خلالها تنظيم هذه الأشكال وإرسالها إلى التداول هي ، ببساطة ، العمل . وهذا ليس بعيد المنال ولا اختزالياً بشكل مفرط . . . ومع ذلك ، **في ظل الرأسمالية ، يتم اغتراب ثمار العمل عن أولئك الذين يصنعونها** . إن شكل الأرض هو نتاج الناس ، لكنها ليست بالضرورة مملوكة أو خاضعة لسيطرتهم . في حين أن عملية الاستيلاء التي تشكل هيكل المظاهر الطبيعية هي بالتأكيد عملية ملكية قانونية للأرض ، فهي أيضاً عملية تقدم وتخصيص للمعاني بطريقة تحاول أن تجعل اغتراب العمل عن المظاهر الطبيعية يبدو طبيعياً ولا جدال فيه في الوقت نفسه .

وبالتالي فإن المظاهر الطبيعية مفهوم معقد للغاية . إن النظرية التي تسعى إلى استكشاف الروابط بين إنتاج المظاهر الطبيعية وتمثيلها ، في اعتقادي ، يجب أن تفي بثلاثة متطلبات أساسية . . . أولاً ، يجب أن تخبرنا نظرية تمثيل المظاهر الطبيعية وإنتاجها بما هو المظهر الطبيعي (كيف نفهم "المظاهر الطبيعية" وما هي علاقاتها بالعالم المادي) . ثانياً ، يجب أن تشرح ، فنظرية المظاهر الطبيعية لا يمكن أن تفسر فقط كيف يتم إنتاج "المظاهر الطبيعية" كجزء من أنظمة الإنتاج والتكاثر المنظمة اجتماعياً (لأن المظاهر الطبيعية لا توجد بأي حال من الأحوال خارج عمل المجتمع) . وأخيراً ، يجب أن تحدد نظرية المظاهر الطبيعية العمليات التي تعمل بها المظاهر الطبيعية المادية وتمثيلاتها في المجتمع (وهذا سؤال مختلف عن السؤال الثاني).

ما هو المشهد الطبيعي

لقد قضينا بالفعل قدرًا كبيرًا من الوقت في مناقشة ما هو المشهد الطبيعي ، على الأقل بقدر ما فهمه الجغرافيون من وجهات نظر مختلفة . يمكننا الآن أن نخطو خطوة أبعد ... **الصراع الاجتماعي يصنع المشهد الطبيعي ، والمظاهر الطبيعية دائماً في حالة من التكون : فهي ليست مستقرة تماماً أبداً** . ومع ذلك ، فإن المشهد الطبيعي هو أيضاً كلي . وهذا يعني أن الجهات الفاعلة الاجتماعية القوية ، كما اقترحنا بالفعل ، تحاول باستمرار تمثيل المشهد الطبيعي كونه كياناً ثابتاً وكاملاً وطبيعياً - كشيء موحد . إن المظاهر الطبيعية يمكن فهمها على أفضل وجه كونها **نوعاً من الفضاء المنتج والمُعاش والمُمثل الذي تم بناؤه من خلال الصراعات والتسويات والعلاقات المستقرة مؤقتاً بين الجهات الفاعلة الاجتماعية المتنافسة والمتعاونة** : إنها شيء (أو مجموعة من الأشياء)، كما يقول ساور، وعملية اجتماعية ، مادية صلبة ومتغيرة باستمرار في الوقت نفسه . ككائن منتج ، فإن المظاهر الطبيعية تشبه السلعة التي يخفي فيها الشكل الواضح والمستقر مؤقتاً حقائق إنتاجها ، ومكانتها كعلاقة اجتماعية . وكونها شكلاً ورمزاً ، يتوقع من أولئك الذين يحاولون تحديد معانيها أن تتحدث المظاهر الطبيعية بشكل لا لبس فيه عن نفسها.

إن المظاهر الطبيعية ليست انعكاساً بسيطاً لاحتياجات ورغبات الطبقات المهيمنة . بل إنها تمثل تناقضاً اجتماعياً مهماً داخل وحدة الشكل : إن إعادة إنتاج عدم المساواة والعجز المفترض الذي تم تدوينه وتطبيعها في المظاهر الطبيعية يحمل معه بذور الثورة . إن الجهات الفاعلة الاجتماعية التابعة قادرة على تطوير قراءات تنافسية للمظاهر الطبيعية ، وهي قادرة على ذلك بالفعل ، كما أنها قادرة على السعي باستمرار إلى فرض مجموعة مختلفة ، وربما أكثر إنصافاً ، من المساحات وأشكال المظاهر الطبيعية في مكان الهندسة المعمارية المفروضة للطبقة الاجتماعية . ولكن إذا كان من المقرر الحفاظ على المظاهر الطبيعية الإنتاجية

في ظل ظروف عدم المساواة التي تجعل الرأسمالية ممكنة ، فلا بد من تقليص التمرد ، وتحييد المجموعات الاجتماعية المهددة .

إننا نسعى إلى بناء عناصر من المظاهر الطبيعية كوسيلة للوساطة ، وكوسيلة لضمان التحديد – إما عن طريق تقويض التخريب نفسه من خلال الإغراءات التعاونية (استبدال السكن الأفضل بالظروف الاجتماعية والاقتصادية غير العادلة التي تجعل السكن السيئ "مقبولاً" ، على سبيل المثال) ، أو من خلال السعي إلى تعزيز المظاهر الطبيعية كممثل لما هو "طبيعي" . إن شكل المظاهر الطبيعية ذاته يتضمن الأخذ والعطاء في هذه العملية ، التي تصبح الآن متماسكة بطريقة ما ، ثم بطريقة أخرى ، اعتماداً على مجموعة القوى في أي لحظة معينة . وبالتالي فإن المظاهر الطبيعية نفسها ، كونها وحدة متهاكة ، تشكل تناقضاً أكبر ، حيث يتم الاحتفاظ بها في هدنة غير مستقرة بينما يشكلها النضال الاجتماعي المستمر واليومي ويصلحها . في خضم هذه الصراعات (وكذلك قبلها وبعدها) ، يسعى الفاعلون الاجتماعيون من جميع الأنواع باستمرار إلى تمثيل المشهد لأنفسهم وللآخرين من أجل فهم الصراعات التي ينخرطون فيها . وبالتالي فإن **المشهد هو تجزئة للفضاء وتجميع له** . ويفهم الناس عالمهم الممزق من خلال رؤيته ككل ، من خلال السعي إلى فرض المعاني والارتباطات . ولكن بما أن الصراع الاجتماعي استراتيجي ، فإن التسويات غالباً ما تكتسب مظهر الاستقرار: تصبح المظاهر الطبيعية طبيعية ؛ تصبح عادية تماماً .

كيف يتم إنتاج المشهد الطبيعي

إن المشهد الطبيعي عبارة عن مجموعة مجسدة من العمليات التي تكتسب شكلها من خلال الصراع والتنافس (ويتم تمثيلها على أنها حقيقة واضحة بذاتها) ، وهو منتج اجتماعي يصبح طبيعياً من خلال الصراعات التي يتم الانخراط فيها حول شكله ومعناه . ويتم تنفيذه في عملية الصراع... [إن شكل المظاهر الطبيعية ينشئ حقائق (اجتماعية) جديدة. وتبدأ معارك جديدة بمجرد أن يستقر شكل ما . ويصبح مظهر الأرض محدداً جزئياً على الأقل في الصراعات التي ستلي ذلك .

يسمى مؤرخ العلوم برونو لاتور [القطع الأثرية الناتجة أشباه الأشياء ليشير إلى أنها ليست مجرد حقيقة مادية ، بل إنها أيضاً تجسيد للعلاقات التي دخلت في بنائها . وبالمثل ، يمكن النظر إلى المظاهر الطبيعية كونها أشباه أشياء ، تجسد كل العلاقات المتنوعة ، والصراعات ، والحجج ، والتمثيلات ، والاستنتاجات . إن المظاهر الطبيعية هي جزء من الطبيعة ، وقد دخلت في تكوينها – حتى وإن كانت تظهر في كثير من الأحيان كشيء خامل أو "طبيعي" . وكونها كائناً شبه مادي... تشكل المظاهر الطبيعية الواقع الاجتماعي ؛ فهي تمثل لنا علاقاتنا بالأرض والتكوينات الاجتماعية . ولكنها تفعل ذلك بطريقة غامضة . وبصرف النظر عن معرفة الصراعات التي دخلت في تكوينها (جنباً إلى جنب مع الصراعات التي تؤدي إليها) ، لا يمكن للمرء أن يعرف المظاهر الطبيعية إلا على مستوى مثالي ، وهو ما يؤدي إلى إعادة إنتاج ، بدلاً من تحليل أو تحدي ، علاقات القوة التي تعمل على إخفاء وظيفتها .

كيف تعمل المظاهر الطبيعية

يتم إنتاج المظاهر الطبيعية وتمثيلها في ظل ظروف تاريخية محددة . وفي حين كان تطوير نظرية عامة لإنتاج المظاهر الطبيعية ضرورياً ، فمن الضروري أيضاً أن نتذكر أن كاليفورنيا الزراعية تطورت (وما تزال) جزءاً من اقتصاد رأسمالي متوسع . إن وعد عدن الذي رآه آل جواد من ممر تيهاتشابي ، و واقع هوفر فيل والبطالة التي كانت تنتظرهم في الأسفل ، كانا جزءاً من عملية عامة للتنمية الرأسمالية والظروف

المحلية التي حدث فيها هذا التطور . ومن ثم ، فمن الضروري أن نفهم كيف تعمل المظاهر الطبيعية بشكل عام والمظاهر الطبيعية الخاصة بكاليفورنيا الريفية في ظل الرأسمالية . ونحن بحاجة الآن إلى فحص الدور الذي تلعبه المظاهر الطبيعية في إعادة إنتاج الزراعة الرأسمالية ، والعلاقات الاجتماعية التي تسمح للنظام الزراعي بالعمل .

إن إنتاج المظاهر الطبيعية ... هو لحظة في العمليات الشاملة للتنمية غير المتكافئة . إن حركة "المراجيح" لرأس المال ، التي تبحث بلا كلل عن فرص جديدة لإنتاج فائض القيمة ، تسعى إلى إيجاد فروق ليس فقط في إيجار الأرض أو ميزة الموقع ، ولكن أيضاً في ... احتياجات واتجاهات العمل ... إن جودة العمل يمكن تخفيض قيمتها أو خلق فوائض في العمل (بحيث تحل الكمية محل الجودة) . ويمكن خفض الأجور الحقيقية للعمال من خلال تقليص الاحتياجات الاجتماعية ، بشرط ألا يكون العمل في حالة تسمح له بالضغط من أجل تحسين نفسه .

إن إنتاج المظاهر الطبيعية ، من خلال إضفاء الطابع الموضوعي على المجتمع وتبريره وتطبيعها ، كان له هذا التأثير في كثير من الأحيان . وإذا كان منظر الرأسمالية يشكل في كثير من الأحيان حاجزاً أمام المزيد من التراكم ويجب تدميره بشكل إبداعي أو التغلب عليه بطريقة أخرى ، فمن الصحيح أيضاً أن المظاهر الطبيعية غالباً ما تكون ميسراً كبيراً لرأس المال (من خلال المساعدة في تحديد "طبيعة" العمل في مكان معين) . وبينما يحدث هذا ، يجب على العمال التغلب ليس فقط على ظروف عدم المساواة والعمل القمعي للسلطة ، بل وأيضاً على المظاهر الطبيعية المستقرة نفسها .

إن المظاهر الطبيعية لا ينبغي أن تززع استقرار العلاقات المكانية فحسب ، بل وأيضاً الأرض التي تتشكل عليها هذه العلاقات وتتشكل داخلها . وبالتالي فإن المظاهر الطبيعية تشكل هدنة غير مستقرة بين احتياجات ورغبات الناس الذين يعيشون فيها ، ورغبة الجهات الفاعلة الاجتماعية القوية في تمثيل العالم كما يفترضون أنه ينبغي أن يكون . **والمظاهر الطبيعية هي دائماً شكل مادي ينتج عن التفاعل الاجتماعي ويشكله ، وتمثيل أيديولوجي يتسم بالقوة** . وفي كلتا الحالتين ، فإن المظاهر الطبيعية هي أعمال انضباط متنازع عليها ، حيث توجه الممارسات المكانية إلى أنماط معينة وتقدم للعالم صوراً عن كيفية عمل العالم (على الأرجح) ولمن يعمل .

مهما كانت المظاهر الطبيعية جميلة ، ومهما كانت تبدو ثابتة ، ومهما كانت تبدو وكأنها محاكاة ، فإن المظاهر الطبيعية ليست محايدة بالتأكيد . ولا تخلو الجماليات أبداً من الدماء التي تدخل في صنعها . في كاليفورنيا ، على الأقل ، لا يمكن أن يكون هناك جمال دون إدانة متزامنة .